نقودٌ على المنضدة

عندما وضعتُ العملات- وما أكثرها بعد أن قررت بريطانيا منذ عدة عقود استبدال الجنيه الورقي بالمعدني- على منضدة المحاسبة لأجمع لها السعر المطلوب قبل تقديمها إليها التقطتها قبل أن أكمل ورمتني بنظرةً "مشكلجية" وهي تريني يدها التي بدت لي عميقة وقد استقرت العملات في وسطها وقالت بلهجة المنحدرين من الأصول الجمايكية:"إن لي يداً كما ترين، كان ينبغي أن توضع النقود فيها."

قلت لها مستغربة وأنا أضع في يدها القطعة الأخيرة:

"لا أفهم سبب شعورك بالإهانة، لقد أردت فقط أن أعدها قبل أن أعطيك إياها." بدا عليها الأسف إذ أنها ابتسمت لي وهي تعطيني الوصل وتشكرني إلا أنني ظللت مستاءة وخرجت من البقالة بلا ابتسامة..

عندما حكيت الحكاية لمن معي ذكر ابن أخي أنه شاهد فيلماً يشعر فيه بائعٌ من أصل أفريقي بالعداء لزبون ياباني أو صيني.. وعندما يُسأل مرةً عن سبب ذلك يرد على سائله قائلاً إنه يكرهه لأن الآخر يحتقره حتى إنه يضع له النقود على المنضدة استنكافاً من لمس يده وكأن سوادها سيلوث يده.. عندها يعلم من محدثه أنه في ثقافة

ذلك الآسيوي أن النقود توضع على المنضدة وليس في يد البائع أو الأجير احتراماً لصاحبها بعدم تحويلها إلى يدٍ سفلى..

هي ذات سماتٍ أفريقية، وأنا آسيوية، والنقود على المنضدة ولو مؤقتاً.. هل افترضَت أن ذلك استنكافاً من لمسها؟ ولكني لم أفكر حتى في قضية اليد العليا ولا السفلى فهذه عملية بيعٍ وشراء وليست صدقة، وحتى الصدقة لا أظن أنه من اللياقة وضعها في مكانٍ غير اليد..

بدأت أشعر بالذنب قليلاً.. لو كان سبب عنجهيتها حقاً هو افتراض ما افترضه البائع في الفيلم فإنني أدين لها بردّ ابتسامة.. لو كنا فقط نعلم الخلفيات..

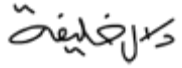

نشر بالملحق الثقافي للشرق القطرية بتاريخ ٢٠١٤/٦/١م